سائل من جدّة : يستدلّ البعض على جواز المظاهرات السلمية بحديث«أفضلُ الجِهَاد كَلِمَةُ حَقّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائر» ؟

الردّ :

أنّه لما قال «عِنْدَ سُلْطَانٍ جائر»، هذه في اللغة العربية والقرآن والسنّة نزل باللغة العربية، بلغة العرب.

«عِنْدَ» ،كما قال الإمام أحمد، للظرفيـــّة ، أي في مجلس.

فهذا الحديث«...عِنْدَ سُلْطَانٍ ...» يلتقي مع قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي خرّجه ابن أبي عاصم في كتاب السنّة من حيث المظنّ «مَنْ كَانَتْ لَهُ نَصِيْحَة عِنْدَ ذِيْ سُلْطَانْ فِيْ أَمرٍ مَا فَلَا يُبْدِهَا عَلَانِيَة وَلْيَخْلُ بِهِ فإنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ وإلا فَقَدْ أَدّى الذيْ عَلَيْه »، ففهمنا من ذينك الحديثين (يفسّر بعضهم بعضًا) أنّ «عِنْدَ» إيش؟ في مجلس للظرفيـــّة . ليس في الشارع! هذه فوضى وفتن أن يخرج النّاس ويصيحون على الحاكم ((نريد حريّة، نريد رواتب، نريد...)) ؛ هذا إعلان بالنصيحة، والنبيّ نهى عن الإعلان بالنصيحة للحاكم فقال «مَنْ كَانَتْ لَهُ نَصِيْحَة عِنْدَ ذِيْ سُلْطَانْ فِيْ أَمرٍ مَا فَلَا يُبْدِهَا عَلَانِيَة »؛ هذه معصية للرسول صلى الله عليه وسلّم .

فالنبي ما أعلن النصيحة ،لا للحاكم الكافر، في مكّة كان الحكام كفّار وهم صناديد قريش ، كان يذهب إليهم ويصلحهم ، يحاوهم بالتي هي أحسن.

وأمّا الحاكم المسلم فقال «مَنْ رَأَىْ مِنْ أَمِيْرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَخْرُجُ عَلَى الجَمَاعَةَ فَيَمُوتُ إلا مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّة»–أو كما جاء في صحيح البخاري.

فلا يخرج على هذا بمظاهرات ولا على هذا.

أما السلميّة فكما قال ابن عثيمين – رحمه الله – العلامة الشيخ ، يقول ((تبدأ سلميّة ثمّ تعود تشغيبيّة وتملكهم قوىً غضبيّة يكسّرون الزجاج ويحدثون الفوضى)).

أنظر في اليمن الآن. أين رئيسهم ؟ في المستشفى بالرياض يُعالج .

بدأت كما يُقال سِلميّة ، ثمّ ما يجدون نتيجة، تتملكهم قوىً غضبيّة ، لأنّ البِدع والمعاصي تقول [أختي أختي] ؛ خروجهم على السلطان في مظاهرة معصية جرّت معصية أخرى وهي الخروج عليه ، لما ما يرون الفائدة الشيطان يستفزّهم،يقولو إذًا ((تحركوا أكثر شوي ، كسّروا ، شوي اقتلوا الرئيس)). ولّا لا؟

البدع والمعاصي تقول [أختي أختي].

هكذا حصل .

أنظر في اليمن ، سفك دماء و...

فالتفريق هذا ((أنّه السلمية لا بأس والتي فيها النشاط والقتل هي المحرمة)) هذا التفريق بِدعي.

يذكرني هذا التفريق ببدعة أحدثها الصوفيّة : يقوم بعض الصوفيّة يتفلسفون ويقولون ((أنا معكم يا معشر الوهابية أو يا أهل السنّة ، معكم)) . ما فيه وهابية ، هذا تنفير من أهل السُنّة تسميتهم وهّابية.

المقصود، يقول ((المولد على قسمين : مولد حرام وهو الذي فيه الطّبل والزَّمر والرقص والأغاني وتناول المسكرات ... معكم ، هذا حرام لكن يذكرون سيرة الرسول ويوزّعون حلوى ويأكلون طعام ، إطعام طعام إلى آخره .. إيش فيها هذه؟))

سبحان الله!

أين حديث «كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة»، « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدّ » ، « شَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا » ؟!

هذا الأمر الديني مُحدث جديد ولا فعله النبيّ والصحابة ؟ يقولون لأ. مُحدَث مُختَرع جديد ما فعله لا النبيّ ولا الصحابة ، إذًا حَكَم النبيّ على المُحدَثات في الدّين بأيّ شيء؟ بأنّها شرّ الأمور. فقال « شَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا » فكيف تقول هناك مولد طيّب وهو الذي فيه ذكر سيرة النبيّ والحلوى والإجتماع على هذا، والذي فيه موسيقى حرام . هذا التفريق ما له أصل!

كذلك المظاهرات، يقول ((هناك مظاهرات فيها قتل وفيها سفك دماء ... معك هذه حرام ، لكن مظاهرات سِلميّة يرفعون هتافات يقولون حريّة حريّة... إلى أخره ، لا بأس)) .

هذا كصاحبنا ذاك المفرّق في المولد بين مولد لا بأس به ومولد محرّم .

يقول أخوكم ((ماذا نقول لهم لو قالوا لنا في الدّستور الذي في بلدنا يجوز المظاهرات ، الحاكم يجيزها ، فإذًا إيش المانع منها ؟))

نقول هَبْ أنّ الحاكم خالف رسول الله ، أتأخذ بكلام الحاكم ولا بكلام الرسول؟! أجبني! أجب!

تقول ((آخذ بكلام الرسول))

طيب أنظر كلام الرسول ماذا قال صلّى الله عليه وسلّم «مَنْ كَانَتْ لَهُ نَصِيْحَة عِنْدَ ذِيْ سُلْطَانْ فِيْ أَمرٍ مَا فَلَا يُبْدِهَا عَلَانِيَة » .

إفرض الحاكم غبي ما يعرف مصلحة بلده ولا نفسه ويقول ((إفعلوا المظاهرات)) ، أنت تتبعه ولا تتبع السياسة الشّرعيّة للرسول ؟!

تتبع الرسول لأنّ الله أمرك باتباعه فقال ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء/من الآية 59] .

طاعة أولي الأمرتابعة للرسول ، فإذا عصى وليّ الأمر الرسول وقال ((اخرجوا عليّ بمظاهرات)) والرسول يقول لا تخرجوا لأنّ هذه فوضى وشِقاق وانشقاق . تطيع من ؟

كذلك لو قال الحاكم ((أنا أأذن لكم أن تحكموا في محاكمكم بغير ما أنزل الله)) ،والرسول يقول والله يقول لا تحكموا إلا بما أنزل الله، نأخذ بحكم من؟

نأخذ حكم الله ،حكم رسوله ، لا بدّ نحكم بما أنزل الله .

لذلك هذه الثورات الآن التي تُقام ينادون بأيّ شيء؟ ما رأينا ثورة من هذه الثورات في ليبيا ، في مصر ، في اليمن يطالبون فيها بإقامة الحكم الإسلامي: قطع يد السارق ، قتل القاتل ، جلد الخِمّير السِكّير ...
كلّها شعارات، حريّة، ثورة ...
والنبيّ قال «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَة عَمِيَّة مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّة». الله المستعان.

يقول أحدهم ((لا أستطيع أن أن أصل للحاكم حتى أنصح له))
هذه شُبه، يقول ((أنا لا أستطيع أن أصل للحاكم حتى أنصحه))،سبحان الله العظيم ، وماذا كان من موسى عليه السلام؟ هل تتصورون أن موسى لما صعد لفرعون وهو رثّ الثياب ليس له مُلك يُضاهي فرعون حتى يدخل على الملوك، إنسان جاء من مديَن، كان مسافر ، أرسله الله إلى فرعون ، جاء عند الحراس ((أريد أن أقابل فرعون)) ، تتصورون أنهم قالوا ((تفضّل تفضّل حيّاك الله))؟! أبدًا .
ذُكِر في {البداية والنّهاية} أو في قَصص موسى أنّه ما أُذِن له الدّخول على فرعون مباشرة ، حتّى أنت الآن في ملك مسلم ، ما تستطيع تدخل عليه ، كيف فرعون اللذي يقول ((أنا ربّكم الأعلى))؟!
تتصور رجل مسافر ليس ملكًا من ملوك الأرض يدخل على فرعون كذا؟!
فيُتَصَوّر أنّ هذه القصة لها أصل ، ممكن حدثت ، وهي أنّ موسى مكثَ سنة يراود الحرّاس ليقابل فرعون مرّة ، رُفِض، ما قابله مباشرة ، فصابَر وصابَر وصابَر حتّى وصل له .
الفترة تلك التي لم يستطع موسى أن يُقابل فرعون ، هل ذهب إلى شارع بني إسرائيل ، وهم يمتهنهم فرعون بالمهن الرّذيلة الرديئة المهينة يستعملهم ، كان ممكن يهيّجهم ويقول ((فرعون إلى متى يستذلّكم يستحيي نساءكم ويُقتّل رجالكم ، اخرجوا عليه ... إلى آخره)) ، صبر عليه موسى .
حتّى أطاع الله في قوله﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ [طه/من الآية 24]، حكمة إلهية ، ما قال ((إذهب إلى شارع بني إسرائيل فهيّجهم))، بل ذهب إلى فرعون وقال ((إبعث معي بني إسرائيل)) ، هذه الحكمة ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة/من الآية 269] .أصحاب العقول النيّرة هم الذين يعرفون هذا ، أمّا أهل الطيش والهوى والتعجّل غي الآراء ، أصحاب الفايسبوك وأصحاب الماسنجرات يأخذون العلم من بعض ولا يرجعون إلى العلماء، هذا مظنّة القتل والفتن التي تحدث في سوريا وتحدث في اليمن وتحدث في غيرها من بلدان المسلمين اليوم. نعم.